فصل جرت سنة الله ان النفس مجبولة على حب الراحة وطلب المزية وعجولة على
بغض ما كان مصحوبا بالتعب والمشقة كما قال تعالى تودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم لما في ذلك من اسقاط العبودية والتحلي بحلية الحرية وهذا كله من سفه
الراي وعدم النصيحة لان الله سبحانه جلت حكمته وتعالت قدرته جعل الحرية
مقرونة بالعبودية اي جعل المشاهدة مقرونة بالمجاهدة والنعمة مقرونة
بالبلاء فظهور فضل الربوبية وادعاء التحلية كان الفرد بنعت العبودية
فمن تعشق الى النهاية واخل بشريعة البداية فاحكم عليه بانه من اهل الجناية
وقد اخرجه من الغواية ونهاية بسيرة الحرمان والخذلان والعكس بالعكس
والاعتماد على الفضل لانه من ظن انه يصل الى الحق بالجهد فاحكم عليه بالبعد
ومن ظن انه يصل اليه بغير الجهد فاحكم عليه بالبعد والطرد وهنا ظهرت
اسرار الربوبية وانقطعت اسباب العبودية وتكسرت مراكب العقول
في حيرة حكم سلطان الملوك سبحان الله في العزة والجبروت لا اله
الا هو رب العرش الكريم فصل من فتح الله عليه في الدخول الى حضرة
التوحيد وجلس على بساط التجريد متكئا على عبقري التجريد ارتفع بالاسباب
في حال الغيبة في شهودها وان عظم المقام ترك الاسباب ولم يترفع الا ارتقاء
عن الاسباب لان ذلك من انقلاب باب التوحيد بالنسبة والاعتبار لان العبد
بهذا المقام اذا لم يترك الاسباب لا ينقطع انه ابدا معبود ابا لقسمة ولا
زال منفردا منتصرا فالحال الكامل هو الذي يقطع على صاحبه بانا ضمنا
راحلته بكون مولاه مستمطرا سحائب جوده ومتمثلا من سكن الى مولاه
بصدق الالتجا والافتقار فانه يغنيه عن كل سبب ويكفيه كل تعب
ويقطع له كل سؤل وارب ويعطيه من غير طلب كما جرت سنته سبحانه
مع اخص عباده وهذا اكمل الاحوال واعلى الاحوال بعلو همته لانه كان عليه سيدنا
صلى الله عليه وسلم حتى لقي الله وهو غاية سير الخيار من امته والسلام فصل
اعلم ايها المريد ان العبد اذا دخل الى مقام تعرى سر الفرد من الحروف فان المقام
يحكم عليه بقطع النظر الى الواسطة لما تقتضيه غيرة الوحدانية واذا تخيل
السالك في نفسه انه بهذا المقام وهو يلاحظ المفتري فليعلم انه مشرك وتصديق
ذلك ان اشعة انوار التوحيد اذا فاضت لم تبق في السر غير الشواهد
والاثار وجميع الخلق اذ الحادث لا يقاوم القديم قل الله ثم ذرهم
ولذلك لما سيل الشبلي عن وصف جبريل صلوات الله عليه قال والله ما خطر
على قلبي منذ سنين ان الله خلق جبريل فاخبر بهذا عن فناء شهوده في شهود
الله

ومن قال ابو يزيد في مقالة التوحيد اليك ان تلاحظ العليل والخليل والحبيب
ويحول عند الله سبيلا وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لي وقت مع الله لا يسعني
فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل بعد ان كان مأمورا بمتابعة الخليل عليه السلام
بقوله له ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ونفى عن الحق سبحانه من ادعى التوحيد وهو يلاحظ
المفترى بقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لانهم ما طلب منهم
الا ما قال بعد وما امروا الا ليعبدوا الاها واحدا فانهم هذا المقام فانه عز في
في الوقت والسلام فصل من كان ابتداء ارادته على الصحة والسلامة من هواجس
نفسه بلغ الرضوان الاكبر والمقام الارفع لقوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان اي ان الله اصل ذلك التقوى ومن كان له في البدايات انتهى اليه
ولا يخرج ما ينفع له من خلل من ذلك والسلام فصل مما يدلك ايها الانسان
على شرف قلبك وخسة نفسك ان الله سبحانه انما اوقع البيع على النفوس لا على
القلوب لان النفوس هي التي دخلت تحت سلطان الانسان وملكه واما
القلوب فانها لم تدخل تحت الملك لانها مستغرقة في رؤية الصفات فالذي وقع عليه
البيع ما هو من صفاتك وهو النفس واما القلب فليس من صفاتك وليس داخلا في
ملكك لانه مكتنف في سرادقات الجمال والجلال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن فالقلب ابدا مستغرق في ملاحظة اسرار
القدم سواء اقبل صاحبه على ملاحظته او ادبر لانه لا تلحقه العوارض ولا الهواجس
النفسانية لان اوصاف النقص لا تليق الا بالناقص ووصف الحدوث لا يلحق الى
القديم ولا يصل هذا المعنى قال الله جل جلاله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم والمراد بالنفس التي وقع عليها الشراء موضع كل شهوة وبلية والمراد
بالمال كل اثم ومعصية فالحق سبحانه اراد ان يزيل ملكك عما يضرك ويعوضك
عليه ما ينفعك عاجلا واجلا وتأمل يا اخي ما تعطيه لصيغة التعبير بالماضي
في قوله اشترى فانه يشير الى ان الشراء وقع حيث لا اين ولا كان ولا قبل ولا بعد
وان المؤمن لا نفس له لانه لا يشهد ملكه في البيع من الله قريبا والسر في وقوع الشراء عليها
في صالحي الوجود قريبا هو انه سبحانه رحيم بعباده المؤمنين ومن رحمته انه لما
اوجد النفس البسها لباس قهر الربوبية فما شمخت من مباشرته وصف
الكبرياء فلما اتصف بقهره تعالى نازعته فعلم الحق تعالى انه لو تركها
مع المؤمنين اغوتهم كما اغوت فرعون وابليس في دعوى الالهية بالصراحة
والمقال فملكها بقهره حتى لا يبقى في المؤمن غير العبودية ولا يتصف بوصف
الحرية فهذه رحمة ربانية اشتمل بها صاحبه الصفات الايمانية وتأمل

Copyright © King Saud University